١ ـ حكاية الوفد الكسروى (*)

لأستاذ جليل

أنا ما جزمت فى عزو (الخبر) إلى ابن بكار بل سألت وفرضت : جئت بـ (هل) الاستفهامية ، و (إذا) الظرفية الشرطية فقلت : « هل صاحب ذلك الكتاب هو الصائغ المحسن » وقلت : « وإذا ثبت قول (السليمانى) فى ابن بكار فمن يضع الحديث النبوى يضع الحديث الأدبى » وأوردت حديث (العلانية) وتركت القضاء للوقت حتى يثبت أو ينفى . وفى هذا الأسلوب فى النقد الإنصاف كله . وبنيت على الشك والفرض لأنى لم أقف على (كتاب وفود النعمان على كسرى) ، ولم أجد رواية صحيحة تهدينى إلى الحق فى أمر النسبة . وإذا عز اليقين ظننا . وليس ظن الناقدين والباحثين فى العلم من الظنون التى ذمها (الكتاب) ، ولم أقصد زراية على القاضى فى كل ما خططت . وليست صفاته الطيبة بما نعته أن يضع ، فقد كان الوضع فى الحديث والأخبار والأشعار شرعة القوم . وهناك كثيرون من الواضعين هم أقضى من الزبير بن بكار وأتقى وأكبر وأشهر . وهذا بحث طويل أدعه اليوم فله زمان سيظهر فيه إن شاء الله

وقلت : هل ابن بكار صاحب كتاب وفود العرب على كسرى هو الصائغ . ولم أقل هل ابن الكلبى صاحب (كتاب الوفود[1]) هو الواضع لأسباب :

١ — عبارة الخبر أقرب إلى زمان ابن بكار ، وأسهل من عبارة ابن الكلبى

٢ — وضوح التسمية

٣ — تنسيق فى الخبر جلبه الوقت وارتقاء التأليف فقد كاد يكون رواية تمثيلية ، وقد أنشأ أديب عصرى منه رواية

٤ — لم أجد الخبر فى كتاب (الأغانى) ولم يرو أبو الفرج منه شيئاً ، ولم يشر إليه فى مكان ، والظن أن لو رآه فى (كتاب الوفود) ما كان فاته . وقد روى من دواهى ابن الكلبى ما روى

وأما عزو الخبر إلى ابن الكلبى أو أمثال ابن الكلبى[2] فهذا من براعة كل واضع بعده فقد اشتهر الرجل فى الأخبار والأسمار والأنساب ، والعنعنة أول شرط لمن يضع . والرواة المتقدمون كثيرون فلكل صانع أن يربط خبره بمن أحب . فأبو حيان التوحيدى حين اتكل على الله وزخرف رسالة أبى بكر إلى على[3] (رضوان الله عليهما) أسندها إلى القاضى أبى حامد المروروزى يرويها عيسى بن دأب عن صالح بن كيسان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن أبى عبيدة بن الجراح

وهذا الإمام أبو بكر بن دريد ربط كثيراً من أساطيره المبثوثة فى كتاب (الأمالى) لأبى على القالى بابن الكلبى وربط طائفة منها بغيره . فما عزاه إلى هشام هذا أسطورة ما وقع من المفاخرة بين طريف بن العاصى الدوسى والحارث بن ذبيان عند بعض مقاول حمير ، وأسطورة ما وقع بين سبيع بن الحارث وميثم بن مثوب من الخاصمة بمجلس مرثد الخير وأسطورة حديث خنافر الحميرى مع رئيه شمسار . وعزا أبو بكر غير ذلك من الأخبار إلى ابن الكلبى . ومما رواه عن العتبى عن أبيه (خبر غسان بن جهضم مع ابنة عمه أم عقبة) وهو رواية (Roman) ختمت حوادثها بالانتحار كما نشاهد فى روايات غربية تمثيلية

(*) تراجع الرسالة ٦٢٤ و ٦٢٦

وللأرجانى قصيدة وصف فيها من حيوان الصيد الطير والفهود والكلاب . مطلعها :

ولما نضا الأفق برد الظلام ... سـاروا إلى خيلهم باللجم

وهى قصيدة ممتعة

وللشعراء أساليب فى وصف آلات الصيد والحيوانات التى تصاد لا يتسع المقال للتمثيل لها

وأبرع شعر الصيد ما وصف أفعال الصيد من الإحاطة بمواضع الصيد وحشر الوحش إلى المضايق ، ثم تسليط الحيوان والآلات عليها ، والعلاقة بين الصائد والمصيد ، وظفر الصائد بطلبته ؛ ونحو هذا . وفى شعرنا من هذا الضرب صور عجيبة رائعة نعرض فيما يلى صوراً منها .

(الكلام بقية)

عبد الوهاب عزام

١٠ ـ ٢١

(١) فى طبعة عندى (الوقود) بالقاف واليقين إنها الوفود

(٢) ابن القطامى فى الخبر هو قنطرة بين من وضع وبين ابن الكلبى

(٣) هى التى أولها : (البحر مغرقة والبر مفرقة) وقد رواها ابن أبى الحديد (المجلد ٢ ص ٥٩٣) ثم قال : الذى يغلب على ظنى أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع وأنه من كلام أبى حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه فى الخطابة والبلاغة أشبه . وهذا كلام عليه أثر التوليد ليس يخفى . . ومن تأمل كلام أبى حيان عرف أن هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ... (قلت) : ابن أبى الحديد يقبل ويرفض ، ويذكر وينسى وقد حاسبناه وسنعيد ...

وأساطير ابن دريد فى الأمالى كلها هو أبوها وأمها . وقد قلت ذات مرة للعلامة الأستاذ الكبير أحمد أمين بك : هذه الأخبار التى أنشأها ابن دريد ورواها أبو على فى أماليه مصنوعة

فقال (حفظه الله) : الذنب ذنب الناس هو قدمها أساطير وهم أخذوها حقائق أو كما قال

وأنا أسأل فى هذا المقام : هل أملى ابن دريد فى مجالسه هذه الأخبار على القالى وغيره من تلاميذه أساطير مصنوعة معلناً ذلك كما أملى البديع الهمذانى وابن الحريرى مقاماتهما فلما رواها أبو على فى كتابه تلقفها الناس أحاديث صحيحة ، والتبس الأمر ؟

وأما الصواغ العظيم ابن الكلبى فهذا مما قيل فيه :

وهشام بن محمد بن السائب الكلبى أبو المنذر الإخبارى النسابة العلامة روى عن أبيه أبى النضر الكلبى المفسر وعن مجاهد ، وحدث عنه جماعة . قال أحمد بن حنبل : إنما كان صاحب نسب وسمر ما ظننت أن أحداً يحدث عنه ، وقال الدارقطنى وغيره : متروك ، وقال ابن عساكر : رافضى ليس بثقة . ابن الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس : وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً قال : أسر إلى حفصة أن أبا بكر ولى الأمر من بعده وأن عمر واليه من بعد أبى بكر ، فأخبرت بذلك عائشة رواه البلاذرى فى تاريخه . وهشام لا يوثق به وقيل : إن تصانيفه أزيد من مئة وخمسين مصنفاً ، مات سنة أربع ومئتين[1] »

وابن عبد ربه الذى نقل حكاية الوفد الكسروى مصدقها هو الذى روى خبرى (وفود عبد المسيح على سطيح ووفود قريش على سيف بن ذى يزن) مؤمناً بهما ، وهذان الخبران يوضحان حالها ، وينبئان بصدقهما . ويتبادان أنهما قد سبقا فى الصحة والتحقيق خبر وفود النعمان وإضامته (جماعته) التى أوفدها على شاهنشاه لتثرثر قدامه متنفحة . ومن روى غير هياب تينك الأسطورتين روى هادئ البال الأسطورة النعمانية الكسروية . وقد قلت من قبل[2] فى سطيح وصاحبه شق قولى ، فليعاود من أراد تلاوته . وهذا مما جاء فى قصة وفود قريش ، وروايته محسبة كافية لا تسأل نقداً ولا تقييداً

« ... ثم انتبه (سيف) إليهم انتباهة ، فدعا بعبد المطلب من بينهم ، فخلا به ، وأدنى مجلسه ، وقال . يا عبد المطلب ، إنى مفض[1] إليك من سر علمى أمراً لو غيرك كان لم أبح به ، ولكنى رأيتك موضعاً فأطلعتك عليه ، فليكن مصوناً حتى يأذن الله فيه ... إنى أجد فى العلم المخزون والكتاب المكنون الذى ادخرناه لأنفسنا ... خبراً عظيماً ... فيه شرف الحياة ... للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة . قال عبد المطلب : ما هو ؟ فداك أهل الوبر قال ابن ذى يزن : إذاً ولد مولود بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة إلى يوم القيامة . قال : أبيت اللعن . لولا إجلال الملك لسألته أن يزيدنى فى البشارة . قال : هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد ، يموت أبوه وأمه ، ويكلفه جده وعمه ... والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، ... يفتتح كرائم الأرض ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، يخمد الأديان ... ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن . قال : فهل الملك يسرنى بأن يوضح فيه بعض الإيضاح ، قال : والبيت ذى الطنب والعلامات والنصب[2] إنك يا عبد المطلب لجده من غير كذب قال عبد المطلب : أيها الملك ، كان لى ابن كنت له محباً ... فزوجته كريمة من كرائم قومه يقال لها آمنة بنت وهب ... فجاءت بغلام بين كتفيه شامة ، فيه كل ما ذكرت من علامة ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه ، قال ابن ذى يزن : إن الذى قلت لك كما قلت ، فاحفظ ابنك ، واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ... »

وسيد هذا الوجود ومعناه مستغن بالله وبكتاب الله عن تكهن المتكهنين ، وصوغ الصواغين ، وزخرفة محدثين

وسند ابن عبد ربه فى هذا الخبر : « نعيم بن حماد قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى . قال : قال ابن عباس »

وقد روى هذه الأحدوثة أبو الفرج فى أخبار أمية ابن أبى الصلت وسند « كتاب عبد الأعلى بن حسان قال حدثنا الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس » ، وحدث أبا الفرج به محمد ابن عمران بإسناد ليس يحفظ الاتصال بينه وبين الكلبى فيه كما قال

وأبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى هو الذى أفاد أدباء العرب وكتابهم وشعراءهم ، وشهر أمتنا وخلفاءها وزجالها بروايته المزخرفة[3] . (لا سامحه الله !) (م)

(١) فى الطبعات (مفوض) واليقين أنها مفض أفضى إليه سره وبسره أعلمه به .

(٢) يحالف عالم الغيب بالعلامات والنصب فياليت المختلق قوله فسما غيره

(٣) هو ناقل ، ولكن ذنب الراوى مثل جرم القائل

(١) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ج ٣ ص ٢٥٦

(٢) الرسالة ٢٤٩ ص ٦٠٥ السنة ٦